

اللغة العربية انشئت بفضل الهدى المضاعى للإسلام وفكره الثورى المجدد

بقلم الأستاذ عبد العزيز حسين

وزير الدولة السابق لشؤون مجلس
الوزراء (الكويت)

التوحيد ، تتضح هنا فى جمع المسلمين على لسان واحد ، فالقرآن كتاب التشريع والعظات ، قد انزل بلغة عربية تدخل فى عبادات المسلمين فلا يتصور ان يوجد مسلم لا يحفظ الفاتحة وآيات اخرى من القرآن ، واذا كان مسلما حقا فان عليه ان يفهم ما يحفظ ، اذ ان التعمد بالقرآن لا يعنى ترديد الآيات دون فهم لمعانيها ودون ادراك لمغازيها السامية . اذا فان كل مسلم يعرف قدرا من العربية، ولكي يكون اقدر على تفهم دينه والتمسك به فان عليه ان يعرف المزيد من لغة كتابه المقدس .

واننا نعلم ما دار من نقاش طويل حول ترجمة القرآن الكريم الى اللغات الاخرى ، وما وصل اليه الفقهاء والباحثون من ان القرآن اذا نقل الى لغات اخرى فانه يفدو فى اللغة الاخرى ترجمة لمعاني القرآن لا قرآنا، واذا لزم ان تؤدى الصلاة بآيات من القرآن عربية .

وقد انتشرت الدعوة الاسلامية بسرعة لم تنتشر بها دعوة اخرى ، وصاحب انتشارها انتشار اللغة العربية بين الامم التى دخلت الاسلام وبنفس السرعة المذهلة . ولا يمكن ان يعود ذلك فحسب الى نزوح

عندما قامت الدعوة الاسلامية كانت فى الجزيرة العربية لهجات عديدة ، فكان ان وحد الاسلام تلك اللهجات واصبحت لغة قريش هى لغة القرآن الكريم التى غدت منذ ذلك الحين تدعى اللغة العربية الفصحى .

لقد اختار الله العرب حملة لرسالة الاسلام فكان من منطلق الامور ان تتوحد كلمة العرب لكي يكونوا اهلا لحمل هذه الرسالة وان تكون اللغة الموحدة من اهم روابط هذه الوحدة .

والدين الاسلامى رسالة حياة للبشر جميعهم ، فهو دين عالمى يهدف الى هداية الانسان فى كل مكان والى نشر الحق والعدل فى جميع اركان المعمورة ، وقد ضمن الاسلام القرآن الكريم سبل هدايته واودع فيه تشريعه ومواعظه ، فكان القرآن مركز الاشعاع للمسلمين ، وهو قد نزل بلسان عربي مبين .

ولكي يستطيع المسلم ان يعي امور دينه فان عليه ان يفهم القرآن وآياته، كما انه لكي يؤدى بعض اركان دينه فان عليه ان يحفظ اجزاء منه باللغة التى انزل بها ، فالدين الحنيف الذى ترك فى المسلمين كتابا لن يضلوا اذا اتبعوه ربط المسلم بمعرفة مقدار من اللغة العربية لكي يكون مسلما حقا . ان عالية الاسلام ، دين

الكثيرين من العرب الى البلاد التي دخلها الاسلام ، او الى ان اللغة العربية هي لغة الحاكمين في النظام الجديد، بل الى ان الدين الاسلامي مرتبط كدين باللغة العربية لغة كتابه المقدس . وان الذين اعتنقوا الاسلام ادركوا انهم سيكونون اقدر على فهم دينهم الجديد اذا هم تعلموا العربية واتقنوها . فانتشار اللغة العربية في البلاد الاسلامية سببه الاسلام دينا والعرب حملة رسالة .

وإذا كانت اللغة العربية قد لقيت مقاومة من بعض الامم التي دخلها الاسلام بسبب التعصب القومي من تلك الامم للفتن الاصلية ، فان هذه الامم التي لم تدرك تمام الإدراك معنى عالمية الاسلام قد استعملت منذ ذلك الحين مفردات لا حصر لها في لغاتها كما استعملت الخط العربي في كتاباتها ، واختار الكثيرون من مفكريها وعلمائها اللغة العربية لغة بحث وعلم وتأليف ، وغدا من سمات العالم فيها ان يكون ضليعا باللغة العربية او عارفا بها .

اننا لا يمكن ان نتصور ان تكون اللغة العربية لغة العالم العربي كما نراه اليوم لو لم تكن الرسالة الاسلامية . كما اننا لا نتصور ان تنتشر لغة ما دون مضمون حضاري ، وقد حملت اللغة العربية حضارة الاسلام الى العالم فاعتنقت الكثير من الشعوب دين الاسلام وتبنت لغة القرآن . وخلد الاسلام اللغة العربية لان رسول الاسلام عربي ، وكتابه المقدس عربي ،

يضاف الى ذلك ان اللغة العربية كانت من النضج والسعة والقدرة على التعبير بحيث صلحت لكي تحتوي الافكار الجديدة والثورة الجديدة والحضارة الجديدة ، ولو لم تكن كذلك لقصرت ان تواكب انتشار الاسلام او ان يتقبلها الناس لغة دين جديد ومجتمع جديد وحضارة جديدة . ولا ادل على ارتباط اللغة العربية بالدين الاسلامي من الاهتمام الذي لقيته قرونا طوالا من العلماء والباحثين بحيث نشأت علوم عربية ارتبطت بالعلوم الاسلامية ، واصبح من مستلزمات عالم الدين ان يكون عالما بالعربية .

ولا نستطيع ان نتخيل بطبيعة الحال ماذا ستكون عليه حال اللغة العربية لو اختار الله لقرآنه لغة غير الضاد ، او بمباراة اخرى لو اختار الله رسوله من غير العرب . . . ولكننا نستطيع القول ان اللغات لا تنتشر الا بدافع حضاري ، وانها لا تنتشر الا اذا كانت صالحة لاحتواء الافكار الجديدة قادرة على التعبير عن حاجات الانسان المتطور وملتقىة مع أسباب النمو والتقدم .

والاسلام قبل كل شيء عقيدة وايمان واسلوب حياة ، وليس الغرض من الاسلام نشر اللغة العربية ، ولكن اللغة العربية انتشرت لان الناس آمنوا بالدين الجديد الذي حمله اليهم العرب ، وتعلموا العربية لكي يزيد ادراكهم وفهمهم للدين الذي اختاروه .

